

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[385] في الآية الثانية يقول تعالى : (إِنَّ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ). سبق أن شرحنا هذه الآية في سورة البقرة في الآية 255. الآية التي تليها تخاطب نبي الإسلام وتقول : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ دَلَالٌ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةُ، وَهُوَ يَتَطَابَقُ تَمَامًا مَعَ مَا جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْكَتَبُ السَّابِقَةُ (التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ) الَّتِي بَشَّرَتْ (1) بِهِ وَقَدْ أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا لِهَدَايَةِ الْبَشَرِ : (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا هُدًى لِلنَّاسِ). ثُمَّ تَضِيفُ الْآيَةَ (وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ). وبعد إتمام الْحُجَّةِ بِنَزُولِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَشَهَادَةِ الْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ عَلَى صَدَقِ دَعْوَةِ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَا سَبِيلَ لِلْمُخَالَفِينَ سِوَى الْعُقُوبَةِ، وَلِذَلِكَ تَقُولُ الْآيَةُ مُحَلِّيًا الْبَحْثَ بَعْدَ ذِكْرِ حَقِّانِيَّةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ). وَمِنْ أَجْلِ أَنْ لَا يَتَوَهَّمُ أَحَدٌ أَوْ يَشْكُ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى تَنْفِيزِ تَهْدِيدَاتِهِ تَضِيفُ الْآيَةَ (وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو إِنْتِقَامٍ) (2). (عزير) فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى كُلِّ شَيْءٍ صَعْبٍ وَغَيْرِ قَابِلٍ لِلنَّفُودِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْأَرْضِ الصَّعْبَةِ الْعَبُورُ (عِزَارٌ) وَكَذَلِكَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ يَصْعَبُ الْحُصُولُ عَلَيْهِ لِقَلَّاتِهِ وَنَدَرَتِهِ (عَزِيزٌ) وَكَذَلِكَ تُطْلَقُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى الشَّخْصِ الْقَوِيِّ وَالْمُقْتَدِرِ الَّذِي يَصْعَبُ التَّغْلِبُ عَلَيْهِ أَوْ يَسْتَحِيلُ التَّغْلِبُ عَلَيْهِ، وَكَلِمًا أُطْلِقَتْ كَلِمَةُ (عَزِيزٌ) عَلَى اللَّهِ تَعَالَى يَرَادُ بِهَا هَذَا الْمَعْنَى، أَيْ أَنََّّهُ لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى التَّغْلِبِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ كُلَّ الْمَخْلُوقَاتِ خَاضِعَةٌ لِمَشِئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ. وَفِي الْجُمْلَةِ الْآنْفَةِ الذِّكْرُ وَلَكِي يَعْرِفُ الْكَفَّارُ أَنَّ هَذَا التَّهْدِيدَ جَادٌ تَمَامًا تَذَكَّرْهُمْ الْآيَةُ بِأَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ، أَيْ أَنََّّهُ قَاهِرٌ وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقِفَ بِوَجْهِهِ تَنْفِيزَ

1 - انظر الجزء الأول ص 146 في تفسير الآية 40

من سورة البقرة، شرح (مصدقاً لما بين يديه). 2 - ذكر بعض المفسرين أن "ذو" لها معناً أقوى من "صاحب" ولذلك لا نجد في صفات الله أنها تذكر معنى كلمة صاحب بل تذكر دائماً مع كلمة "ذو" البحر المحيط : ج 2 ص 379.